شبكة المعلومات الجامعية

بسم الله الرحمن الرحيم

Ain Shams University Information Network
جامعة عين شمس
شبكة المعلومات الجامعية
@ ASUNET

شبكة المعلومات الجامعية

جامعة عين شمس

التوثيق الالكتروني والميكروفيلم

قسم

نقسم بالله العظيم أن المادة التي تم توثيقها وتسجيلها
علي هذه الأفلام قد أعدت دون أية تغيرات

يجب أن

تحفظ هذه الأفلام بعيدا عن الغبار

في درجة حرارة من ١٥-٢٥ مئوية ورطوبة نسبية من ٢٠-٤٠%

To be Kept away from Dust in Dry Cool place of 15-25- c and relative humidity 20-40%

شبكة المعلومات الجامعية

التوثيق الالكتروني والميكروفيلم

Ain Shams University Information Network
جامعة عين شمس
شبكة المعلومات الجامعية
@ ASUNET

بعض الوثائق الاصلية تالفة

Ain Shams University Information Network
شبكة المعلومات الجامعية
@ ASUNET

بالرسالة صفحات
لم ترد بالاصل

جامعة القاهرة
كلية الآداب
قسم اللغة العربية وآدابها

رثاء الذات فى الشعر الجاهلى

دراسة أسلوبية

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير

٢٨٤٩
ص

إعداد

محمد رمضان بيومى زامل

إشراف

الأستاذ الدكتور
عبد الله التطاوى
أستاذ الأدب العربى
نائب رئيس جامعة القاهرة

الأستاذ الدكتور
سيد حنفى حسنين
أستاذ الأدب العربى
جامعة القاهرة

١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

بسم الله الرحمن الرحيم

وعلمك

ما لم تكن تعلم

وكان فضل الله عليك عظيما

صدق الله العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

أخلقت القصيدة الجاهلية هذا المدى الزمني المتطاول ولما تزل في بكارتها الأولى تخزن الفن والحياة كما تخزن الجواهر النفيسة النور والضوء ، ولعل سيرورة هذه القصيدة وتأثيرها عبر الحقب والأجيال ، وعلة هذه السيرورة وهذا التأثير كانا باعثي الأول على قراءة الشعر الجاهلي الذي أحسبه آية عبقرية الإنسان واللسان على مر العصور .

وقد جذبتني من هذا الشعر الخالد قصيدة الرثاء الجاهلية فهي غالبًا ما ترتقي في سلم الفن إلى قمة الروعة والأصالة وتحمل لوعة تلفح مهجة المتلقي كما أحرقت صاحبها من قبل ، وقد عبر عن كلا المعنيين ـ الصدق والفنية ـ أعرابي حينما سئل ما بال المراثي أجود أشعاركم ؟ فقال : لأنا نقولها وأكبادنا تحترق . «البيان والتبيين» (٢/ ٣٢٠) .

وقد لفت نظري في قصيدة الرثاء الجاهلية ضرب لم يلتفت إليه إلا في القليل النادر ، ألا وهو شعر رثاء الذات الجاهلية ، ذاك الذي لا يقل عن رثاء الآخر فنية ويكشف عن جسارة الذات وانكسارها أمام أمواج الموت العاتية ؛ جسارتها وهي تتغنى بالذات وطائر الموت الكريه يحلق فوق رءوسها ، وانكسارها وهي تبكي مآلها الأخير متشبثة بأهداب الحياة ! وقد عاشت تؤمن بالحياة وتكفر بما وراءها .

ورغم أن أشعار رثاء الذات تشكل نمطًا فريدًا في مضمونها وبنائها الفني إلا أنها لم تحظ إلا بالنذر اليسير من الدراسات التي تعلق كثير منها بالقصيدتين الأكثر شهرة في رثاء الذات ، وإحداهما جاهلية هي قصيدة عبد يغوث بن وقاص الحارثي والأخرى أموية وهي قصيدة مالك بن الريب التميمي ، فأما الذين تناولوا قصيدة عبد يغوث فالدكتور / كمال أبو ديب في كتابه «الرؤى المقنعة» (ص٥٤٥ ـ ٥٤٦) ، وأستاذي الدكتور / عبد الله التطاوي في كتابه «المعارضات الشعرية

أنماط وتجارب» (ص١١٥ـ ١٢٢)، وأما الذين قارنوا بين قصيدة عبد يغوث وقصيدة مالك بن الريب فهما إبراهيم الحاوي في كتابه «رثاء النفس بين عبد يغوث بن وقاص الحارثي ومالك بن الريب التميمي، ١٩٨٨» ، والدكتور/ فتوح أحمد «مجلة عالم الفكر الكويتية، يونيو ١٩٩٤، ص٣٨ـ ٦٤»..

وكل هاتيك الدراسات تحمل جهداً مشكوراً إذ شكل المدخل اللغوي في معظمها أبرز المداخل في التحليل ، ولكنها وقفت عند قصيدة بعينها ، هي قصيدة عبد يغوث الجاهلية .

وأما الكتاب الوحيد الذي أفرد لشعر رثاء الذات ـ فيما أعلم ـ فهو كتاب د/ عبدالله أحمد باقازي ، «رثاء النفس في الشعر العربي، ١٩٨٧» ورغم وعد باقازي في مقدمة كتابه بأنه سيعتمد التحليل في رصده للظواهر والقضايا الفنية المتعلقة برثاء النفس «المقدمة صـ٤» إلا أن منهج دراسته كان أقرب للسرد التاريخي منه إلى الدرس الفني ، وذلك لأن مجال دراستها امتد من الشعر الجاهلي إلى الشعر الحديث مروراً بالإسلامي والأموي والعباسي والأندلسي ، الأمر الذي أبان عن تأثره بمنهج الدكتور/ شوقي ضيف في كتابه «الرثاء» في فصل ندب الشعراء أنفسهم (ص٣٠ـ ٣٤)، وإن ظل يحسب لباقازي أنه أول من طرق باب هذا الفن بدراسة مستقلة .

ويتجلى من ذلك أن الدراسات التي تعرضت لشعر رثاء الذات بالمنهج الملائم فاتها الإحاطة بشعر رثاء الذات كله من ناحية ، ومن ناحية أخرى أن الدراسة التي أفردت لشعر رثاء الذات فاتها المنهج الذي يكشف عن أصالة هذه الأشعار وفنيتها وفرادتها ، وهو الأمر الذي دفع الباحث إلى تحديد مجال الدراسة بشعر رثاء الذات في العصر الجاهلي أولاً واختيار المنهج الأسلوبي ثانياً .

وذلك أني أحسب المدخل اللغوي ممثلاً في المنهج الأسلوبي ألصق ببنية

القصيدة وأجدر أن يصل إلى جوهر الإبداع فيها ، لأنها في البدء والمنتهى بناء لغوي ، وليست كما قيل بحق ، وثيقة إجتماعية ، أو تاريخية ، أو سياسية . . ، من ناحية ، ومن ناحية أخرى أنه ليس معنى أن نتناول شعراً قديماً أن نعود إليه في كل مرة بنفس المناهج وما يرتبط بها من الأدوات التي ربما تجاوزها الزمن .

فالبحث بأدوات جديدة من شأنه أن يخرج بنتائج جديدة أو يؤكد على النتائج التي أخذت كمسلمات أو ينفيها ولا شك أن معارفنا النظرية كما نوه غير واحد من الباحثين منهم د / كمال أبو ديب في مقدمة كتابه الرؤى المقنعة ، قد تقدمت عما كانت عليه في بدايات القرن العشرين عند طه حسين ، وغيره ، مع اعتراف الباحث بفضل من سبقوه وتقليله من غلواء أبي ديب ، فليست حداثة المنهج وحدها هي المحدد الوحيد لجودة العمل النقدي .

هذا ولم يقبل الباحث المنهج الأسلوبي الذي وصف بأنه منهج وصفي يصف مستويات البناء اللغوي ، من موسيقى ، و معجم ونحو ومجاز على علاته ، فاختار الباحث من هذا المنهج ما يلائم المادة موضع الدراسة ، فجاء منهج هذه الدراسة ملتقى للأسلوبية و النقد الأدبي ، الذي هو في أبسط معانيه كما يقول رينيه ويليك : التحليل والتفسير والحكم «مفاهيم نقدية ـ ص٢٢» ، ولا ريب أن عنصري التحليل والتفسير محل إجماع معظم المدارس النقدية ، إلا أن التحليل في معظم المناهج الأخرى عادة ما يتم بعيداً عن عين المتلقي ولكن الأسلوبية تجعله رأي العين ، وتقدم من الشواهد والأدلة ما يجعل البحث غالبًا يميل إلى الموضوعية في تناول الظواهر الفنية .

-٢-

ومع أن المدخل اللغوي هو عماد التحليل في هذا البحث ، إلا أنه لم يحرم نفسه من الإضاءات التي يمكن أن يفيدها من المناهج الأخرى ، تاريخية

واجتماعية ونفسية ، ولكن البحث حرّك هذه المناهج من المتن إلى الهامش، لأن إغفال هذه المناهج في التحليل اللغوي للقصيدة من شأنه أن يوقع البحث في الزلل لا سيما عند دراسة قصيدة قديمة لابد للإحاطة بها وتحليلها تحليلاً ناجزاً من معرفة الظروف التي أحاطت بالشاعر ، فالشعر ليس تجربة كيميائية تتم بمعزل عن الشاعر الذي أبدعها و البيئة التي أنبتته بعناصرها المختلفة .

وإذ يؤخذ على المنهج اللغوي ـ الأسلوبي ـ أنه يفكك الخطاب الأدبي ولا يعيد تركيبه فيفقد الخطاب الأدبي توهجه وتأثيره كما أشار غير قليل من الباحثين منهم د / إبراهيم عبد الرحمن في كتابه «الشعر الجاهلي قضاياه الفنية والموضوعية ص٢٤٣» فإن البحث حاول جاهداً أن يعيد للأشعار التي تناولها حرارتها ومائيتها في حدود أن الدراسة تدرس شعر رثاء الذات كله وليس قصيدة بعينها وذلك من خلال التعرض للبعد الدلالي للأشعار ومحاولة الوقوف على دلالاتها الفنية ، فالقول بأن الدراسة الأسلوبية دراسة وصفية لا ترقى لأن تكون دراسة نقدية «د/ عبد السلام المسدي «الأسلوب والأسلوبية . ص٥٣ ، ١١٩» فيه الكثير من الحيف من ناحتين : أولاهما أن الاكتفاء بالوصف فيما يرى الباحث يجعل الدراسة الوصفية تفقد أهميتها لأنها ستكون أشبه بدال بلا مدلول إلا أن يمن عليها دارس آخر بدراسة تأويلية وهذا نادر في حقل الدراسات الأدبية العربية .

والثانية : أن هذا التصور يحد من طاقة الأسلوبي في بناء دراسة شافية للشعر ، في الوقت الذي قد يحمل الأسلوبي فيه في إهابه ناقداً بصيراً على نحو ما نرى عند بعض الأسلوبيين العرب كالأساتذة / فتوح أحمد ، وأحمد درويش ، ومحمد عبد المطلب وغيرهم .

- ٣ -

تجيء هذه الدراسة مكونة من مدخل وبابين وملحق ، أما المدخل فتناول

مفهوم رثاء الذات وشعراءه ، وإشارات مقتضبة حول بنية القصيدة في شعر رثاء الذات .

وأما الباب الأول فتناول الإيقاع وبدأ بتحرير مفهوم الإيقاع ومكوناته ووظائفه ، وتناول الفصل الأول في هذا الباب موسيقى الإطار ممثلة في الوزن العروضي والقافية واستعان الباحث في دراسته لهذا الفصل بإنجازات علم اللغة ممثلة في المقطع اللغوي وصفات الحروف من جهر وهمس وشدة ولين . . الخ .

وكان من أهدافه في هذا الفصل التأكيد على الانسجام والتناسب بين الوزن والمعنى .

وتناول الفصل الثاني من هذا الباب الموسيقى الداخلية بداية من الصوت المفرد مروراً بالبنى البديعية من ترديد وتكرار وجناس . . . ووقف على توظيف الشعراء لها في خلق الدلالة أو الدلالات التي فجرتها موسيقى البديع ، فلم يكن البديع إلا رافداً من روافد التأثير الشعري وأبداً لم يكن عبئًا على التجربة الشعرية .

وتناول الباب الثاني الجانب الدلالي في شعر رثاء الذات وكان مدخله إلى ذلك دراسة الصورة والبناء النحوي .

وقد تناول الفصل الأول من هذا الباب الصورة الشعرية وقام الباحث بتوضيح مفهوم الصورة الشعرية وأهميتها في بناء الشعر ثم تناول البنية التشبيهية بمستوياتها المختلفة والاستعارة بنوعيها وتقسيماتها التي يمكن للوقوف عليها مراجعة الفهارس العامة للدراسة .

وتناول الفصل الثاني من هذا الباب البناء النحوي ودلالاته ، فوقف بعد مقدمة عن دور النحو في خلق النص الشعري ـ مع الضمائر وأثرها في إثراء النص الشعري ، ثم انتقل إلى باب جليل الخطر يتعلق بالضمائر وهو الالتفات .

ثم تناول بعد ذلك ظاهرة الحذف بمستوياتها المختلفة ، من حذف بعض الكلمة مروراً بحذف الكلمة وانتهاءً بحذف الجملة .

ودرس ظاهرة الإطناب باعتبارها مقابلاً للحذف ، ليقف على أهمية دور السياق في اختيار ظاهرة والعدول عن أخرىٰ .

هذا وقد حاولت جهدي أن أوظف الجداول وأضعها في نهايات الفصول إلا فيما ندر حتىٰ لا تقطع تسلسل القراءة كما أن بقاءها مثبتة يضيف للدراسة درجة ما من الثقة فيما ذهبت إليه من تفسيرات ، كما أنها قد تحتاج إلىٰ قراءة أخرىٰ قدم البحث لها من خلال هذه الجداول مادة نصف مهضومة .

ويأتي الملحق متمماً للدراسة ويشمل الأشعار التي تأتّىٰ للباحث الوصول إليها من كتب التراث ودواوين الشعراء وهي كثيرة ، جمعها الباحث ليوفر علىٰ غيره الوصول إليها من أقرب طريق ودون الحاجة إلىٰ بذل جهد تكلف الباحث عنته ومشقته من ناحية ، ومن ناحية أخرىٰ لتقرأ تحليلات الباحث في ضوء القصائد والمقطوعات في المواضع التي اكتفىٰ فيها الباحث بالبيت المفرد عند تناوله لظاهره بعينها .

ومن نافلة القول الإشارة إلىٰ أن هذه الدراسة من الدراسات القليلة التي تتناول فنّاً شعريا بدراسة أسلوبية فقد جرت عادة الباحثين في مجال الدراسات الأسلوبية لا سيما القديمة علىٰ دراسة شاعر بعينه .

وأخيراً تطمح هذه الدراسة أن تكون قد قدمت قراءة لغوية فنية موضوعية لشعر رثاء الذات الجاهلية فإن أفلحت فهذا أملي ومناي وإن كانت الأخرىٰ فعزائي أنها حاولت ويكفيها شرف المحاولة .

والله سبحانه أسأل الإخلاص في النية والسداد والتوفيق في القول والعمل .

مدخل

مفهوم رثاء الذات :

يعني رثاء الآخر في المعاجم العربية بكاءه ومدحه بعد الموت وكذلك نظم الشعر فيه [١] وحوّمت بعض هذه المعاجم حول بعض المعاني التي تتصل برثاء الذات ولكنها لم تتحدث صراحةً عنه [٢] ويذهب البحث متأنسًا بالمعاجم إلى أن رثاء الذات يعني الإشفاق والأسف والرقة والتفجع والرحمة التي يفيضها الإنسان على ذاته في موطن يظن الإنسان فيه بالهلاك أو الحزن الفاجع أو الإحباط المرير وقد تأتي هذه المشاعر منظومة شعراً وقد أوشك الشعراء على توديع الحياة، وهذا المعنى ـ رثاء الذات شعراً عند توديع الحياة ـ هو المعنى المقصود في هذه الدراسة .

وقد أحس قدامى علماء العربية بهذا المعنى فصنع ابن عبد ربه (٣٣٨هـ) في العقد الفريد باباً سماه «من رثى نفسه ووصف قبره وما يكتب على القبر» ونقل عن ابن قتيبة (٢١٣ ـ ٢٧٦هـ) : أنه قال : بلغني أن أول من بكى نفسه وذكر الموت في شعره «يزيد بن خذّاق» [٣] .

وتبعه أبو هلال العسكري (٣٩٥هـ) في كتابه الأوائل فقال في قصيدة ابن خذاق «وهي أول مرثية رثى بها شاعر نفسه» [٤] واستقر هذا المفهوم بعد ذلك حتى إنه

---

(١) راجع : المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده ، لسان العرب ، القاموس المحيط ، المعجم الوسيط

(٢) في اللسان ، رثيت له : رحمته ، ويقال ما يرثي فلان لي ، أي ما يتوجع ولا يبالي . . ورثى له أي رق له وتوجع وأشفق .

(٣) العقد الفريد ، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ، تحقيق محمد سعيد العريان ، دار الفكر ، لبنان ، د . ت ، ٣/ ١٧٦ . والحق أن من قال العبارة هو أبو عمرو بن العلاء ونقلها عنه ابن قتيبة ولم تكن بهذا المعنى إذ قال أبو عمرو بن العلاء : أول شعر قيل في ذم الدنيا قول يزيد بن خذاق .

راجع : الشعر والشعراء ، ابن قتيبة ، تحقيق الشيخ / أحمد شاكر ، دار الحديث ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٦ ، ١/ ٣٨٦ . أي أن هذا الفهم هو فهم ابن عبد ربه على التحقيق .

(٤) الأوائل ، أبو هلال العسكري ، تحقيق / محمد السيد الوكيل ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، د . ت ، ٣٤٧ .

ليطالعنا في القرن السابع الهجري في «الحماسة البصرية» بابٌ أطلق عليه «نبذ من قول من رثى نفسه حيًا» (١) .

بين النفس والذات :

اختير «شعر رثاء الذات» عنوانًا لهذه الدراسة لعدة أسباب ، منها أن الذات أشمل من النفس تقول : «قتل فلان نفسه أي أوقع الهلاك بذاته كلها وحقيقته» (٢) هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى أن الذات تعني التفرد فلكل إنسان نفس وليس لكل إنسان ذات متحققة وقد أحس شعراء رثاء الذات بهذه الفرادة فطغى ضمير الأنا على أشعارهم ، كما أن الذات تعني إلى جانب التميز ، الخصوصية «فالذاتي لكل شيء هو ما يخصه ويميزه عن جميع ما عداه» (٣) من ناحية ثالثة ، وأخيراً لتنماز هذه الدراسة عن دراسة سابقة عنوانها «رثاء النفس في الشعر العربي» اختلفت دراستي عنها منهجًا وفترة تاريخية .

شعراء رثاء الذات :

ضمت مجموعة رثاء الذات وفرة من الشعراء إذ بلغوا ستة وعشرين شاعراً ، يأتي في طليعتهم كبار شعراء الجاهلية من أصحاب المعلقات كامرئ القيس بن حُجْر وطرفة بن العبد و لبيد ، وعددًا من أقدم شعراء العربية كدويد بن زيد ، والمستوغر بن ربيعة وزهير بن جناب ، وكوكبة تتوزع على طول العصر الجاهلي

---

(١) الحماسة البصرية ، صدر الدين علي بن أبي الفرج بن الحسن البصري (٦٥٦هـ) تحقيق عادل جمال سليمان المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ، ١٤٠٨ هـ . ١٩٨٧ ، ٢/ ٢١٥ .

(٢) المحكم والمحيط الأعظم ، ابن سيده (٤٥٨هـ) ، تحقيق يحيى الخشاب وعبد الوهاب سيد عوض ، معهد المخطوطات العربية ، القاهرة ، ط ٢ ، ٢٠٠٣م ، ٨/ ٣٤٥ .

(٣) التعريفات ، علي بن محمد الجرجاني (٧٤٠-٨١٦ هـ) مكتبة مصطفى البابي الحلبي وشركاه ، القاهرة ، ١٩٣٨ ، ١٩٥ .